الخطابي ـ الإستراتيجي.

تغيير المسار: الواقع مستعاداً

ماذا ستكون عليه النتيجة إذا نحن طبّقنا طروحات فوكو على حرب الخليج، وعلى تمثيل وسائل الإعلام لها، والرّدود التي أظهرها مختلف المعلقين (سواء المناهضين منهم أو المناصرين)؟ من المؤكّد أن التغطية الإعلامية والتلفزيونية قدمت دلائل كثيرة تدعم فرضية فوكو الرئيسية، وتحديداً "الخطاب" المهيمن الذي سرعان ما انبثق وفرض قيمه ومعتقداته وافتراضاته المعيارية ليس "من الأعلى" فحسب وعبر آليات قسرية من الرقابة المكشوفة، بل ومن خلال تمثّل واستبطان هذه القيم من قبل الغالبية العظمى من الصحفيين، المحررين، والمحللين "الخبراء". ولكن هذا لايعني القول بأنّ الإجماع كان مطلقاً، وأنّ المرء لا يمكن أن يصادف على الأقلّ ـ من خلال قراءة الجرائد الموثوقة أو مشاهدة بعض برامج الحوارات التلفزيونية المتأخّرة ليلاً ـ لفيفاً من الناس مستعدين لمواجهة الخط الرسمي وتقديم أسبابهم (تاريخية، واقعية، وثائقية، وأسباب سياسية ـ أخلاقية) لرفض الطروحات التسويغية التي وضعتها الولايات المتحدة وزبائنها في قوات "التحالف". ولكن هذه الحوارات قلما تجد طريقها إلى برامج التغطية التفزيونية الرئيسية أو تتصدر صفحات المجلات الجماهيرية (تابلويد) ذات الإنشار الواسع حيث يختارها (كما دائماً) مراقبو "الرأي العامّ" لتكون مركز انتباههم.

وهذا ليس مدهشاً بحدّ ذاته بما أنه يوجد، كما يعلق تشومسكي، عوامل متعددة تتضافر لتغيير التوازن لصالح الرأي الرسمي (الذي تديره الدولة). أحد هذه العوامل هو "الوطنية البدئية"، أو "الرغبة العارمة بالتفكير حسناً بأنفسنا، بمؤسساتنا، وبقادتنا." وكنتيجة لهذه الرغبة :

نجد أنفسنا جوهرياً شرفاء وصادقين في حياتنا الشخصية، وبالتالي نتوهم أنه يجب على مؤسساتنا أن تعمل وفقاً لهذه النوايا الحسنة، وهذا بحدّ ذاته